الجمعة : 13/2/2008 الشيخ الطيب محمد خير الشعال

سلسلة أسرتي

11- ((يا زوجي))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد هـ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

واستكثروا من فعل الخيرات ، فنحن عمّا قريب ذاهبون ، وإنه ما من ميتٍ إلا وهو يندم، أما المسيء فيندم لماذا أساء ، وأما المحسن فيندم لماذا لم يزدد إحسانا، فقدِّموا

لأنفسكم ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ❋ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾

الزلزلة:7-8

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة الحادية عشرة في سلسلة أسرتي وقد تحدثا فيها ((لماذا هذه السلسلة)) وتحدثنا في خطبتين ((يا بني)) أب يخاطب ابنه وأمٌ تخاطب ابنها ، وخطبتين ((يا ابنتي))، وخطبتين ((يا أبتِ)) وخطبتين ((يا أمي)) وخطبة الأسبوع الماضي ((يا زوجتي)) وعنوان خطبة اليوم :

((يا زوجي))

أقول فيها مقال زوجة تخاطب زوجها:

يا أبا العيال ويا سليل الرجال ، يا زوجي العزيز ، شكراً لأنك شكرتني في الخطبة الماضية، فنحن النساء رقيقات المشاعر ، مرهفاتُ الحس ، تؤثر فينا الكلمات ، وتمرضنا أو تُسعدنا منكم بعض المواقف والعبارات .

وكم من زوجةٍ باتت باكيةً لأن زوجها لم يُعرْها انتباهاً ، عندما عاد إلى المنزل ، وكانت قد استعدت له بزينتها وثوبها الجديد ، فلم ينطق ببنت شفة ، ولم يظهر اهتمامه بها وبثوبها.

وكم من زوجةٍ عاشت هانئةً مع زوجٍ فقير الحال ،قليل المال ، لكنه يُحسن معها ويراعي رقة ورهافة حسِّها ، ولها منهُ كلُ خلقٍ نبيل .

۞ يا زوجي :

لئن كنت يا زوجي الغالي ممتناً لي مرةً ، فأنا ممتنة لك مرات ومرات : تتعب لنرتاح ، وتحسن إليّ وإلى الأولاد ، ولا تبخلُ علينا في نفقةٍ ما دمت قادراً عليها ، ولقد أعنتني على طاعة الله وعلى برِّ والدي .

۞ يا زوجي :

رأيت فيك تفسيراً لقول الله تعالى : ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [النساء:19].
رأيتُ فيك شرحاً لعددٍ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حجة الوداع : « **استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان** » [ابن ماجه]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **خـيركم خـيركم لأهلـه وأنا خـيركم لأهلي** » [الترمـذي] وفي روايـة المسـتدرك « **خيركم خيركم للنساء** » وفي رواية البيهقي في شعب الإيمان « **خيركم خيركم لنسائه وبناته** »

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" كان إذا خلا بنسائه ألينَ الناس وأكرمَ الناس ، كان ضاحكاً بسّاما " [ابن عساكر]

أجرى قاضٍ شرعي استبيان على مائتي أسرة تضم 200زوج و200 زوجة من شريحة عشوائية في إحدى البلاد العربية ، بعض هؤلاء الأزواج تزوجوا في الستينيات وبعضهم في السبعينيات وبعضهم في الثمانينيات وبعضهم في التسعينات من القرن العشرين .

في استبانة الأزواج الرجال سأل هذا القاضي:

- **السؤال الأول: ما أول حاجة يحتاجها الزوج من زوجته ..؟؟**
- **السؤال الثاني: ما ثاني حاجة يحتاجها الزوج من زوجته... ؟؟**
- **السؤال الثالث: ما ثالث حاجة يحتاجه الزوج من زوجته..؟؟**
- **السؤال الرابع: ما أخر ما يحتاجه الزوج من زوجته ..... ؟؟**

وفي استبان الزوجات سأل القاضي :

- **السؤال الأول: ما أول حاجة تحتاجها الزوجة من زوجها ..؟؟**
- **السؤال الثاني: ما ثاني حاجة تحتاجها الزوجة من زوجها... ؟؟**
- **السؤال الثالث: ما ثالث حاجة تحتاجها الزوجة من زوجها..؟؟**

السؤال الرابع: ما أخر ما تحتاجه الزوجة من زوجها..... ؟؟

1- توفير الطعام	7- الرقة والدلال
2- توفير المال	8- التسامح والعفو
3- الشعور بالأمن	9- تحمل المسؤولية
4- الاحترام المتبادل	10- تبادل الأحاديث
5- الثقة المتبادلة	11- العاطفة وإخراج المشاعر
6- الكلام الجميل والفكاهة	12- الاهتمام بالبيت

كانت نتائج استبانة الأزواج الرجال مادةَ الخطبة الماضية ، أما نتائج استبانة الزوجات فهي مادة خطبة اليوم .

أول ما طلبته الزوجات من أزواجهن ... ((تحمل المسؤولية))

كتبت 95 % من الزوجات في العَيّنة المدروسة : نريد منهم أن يتحملوا المسؤولية ، مسؤولية الأولاد ، مسؤولية البيت ، مسؤولية الزوجة ، مسؤولية الأسرة .

وبالمناسبة أيها الإخوة : إذا أردنا أن نختصر الزواج كلَّه بكلمة واحدة ، فأنسب كلمة هي : ((**الزواج مسؤولية**)) .

وأتوجه بالخطاب الآن إلى الأزواج عامةً وإلى الشباب المقبلين على الزواج أو الذين تزوجوا حديثاً خاصةً لأقول :

الزواج ليس حباً ولا عشقا ، الزواج ليس إعجاب شابٍ بفتاة ولا استظراف فتاةٍ لشاب، ولا تصدقوا أنه غرامٌ وهُيام ، الزواج مسؤولية ، ومسؤولية كبيرة.

ربما يوجد في الزواج حبٌ أو عشق أو إعجاب أو استظراف لكن مساحة هذا الشيء محدودة ، والمساحة الأكبر في الزواج للمسؤولية .

الشاب قبل الزواج مسؤولٌ عن نفسه : ((دينه و إيمانه وعلمه وعمله)) ، لكنه بعد الزواج سيسأله الله ويسأله المجتمع عن نفسه وعن زوجته : ((لماذا فعلت زوجتك كذا ؟

لما ذا لا تحسن النفقة على بيتك ؟ لماذا لا تعتني بمنزلك ؟)) فإذا رُزق ولداً ، صار مسؤولاً عن ثلاثة : ((نفسه وزوجه وولده)) وهكذا ....

فالحب موجود في الزواج لكن مساحته محدودة ، أما المساحة الأكبر فهي للمسؤولية .

- كتب جيمس بندر في كتابه ((السعادة الزوجية)) يقول :

" إن المسؤولية الكبرى لفشل الزواج تعود إلى إقامته على الحب الرومانسي فقط "

- نشرت مجلة تشرين السورية دراسة عن ((زواج الحب في المجتمع السوري)) حيث أجرى دكاترة الاجتماع دراسة على 1500 حالة زواج فتبين في الدراسة أن 75% من حالات زواج الحب انتهت بالفشل ، بينما 95% من حالات الزواج التقليدي كانت ناجحة .

- فالشاب الذي كان قبل الزواج يطيل السهر ليلاً خارج المنزل ، لا يُقْبل منه أبداً بعد الزواج أن يتابع إطالة السهر خارج المنزل بعيداً عن زوجته وأولاده .

وقد اتصلت إحدى السيدات لتقول : إن زوجَّها يذهب كلَّ ليلة للسمر مع أصحابه خارج المنزل ليعود بعد الساعة الواحدة ليلاً ، هذا الزوج لم يتحمل المسؤولية .

- الشاب الذي كان قبل الزواج يسافر ، الشهر والشهرين ويغيب عن والديه السنة والسنتين ، لا يقبلُ منه أبداً بعد الزواج أن يترك زوجته وأولاده ليسافر عنهم للعمل أو لغيره ، ويغيب سنة أو سنتين ، لأن للزوجة حقوقاً وللبيت مسؤوليات زائدة عن مسؤولية النفقة.

وقد شكت امرأة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه طول غياب زوجها عن البيت وهو في سفرٍ في الجهاد في سبيل الله ، فسأل عمر بن الخطاب ابنته حفصة ، كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقيل لا تصبر أكثر من ستة أشهر ، فجعل ذلك أمدَ بعوثه وسراياه في جنده.

- الزوج الذي يغيب عن بيته طيلة النهار ، ويدع أولاده الصغار والكبار والمراهقين مع أمهم ، تكون هي وحدها المسؤولة عن صحتهم ونظافتهم وتربيتهم وتدريسهم وأخلاقهم ودينهم ، هذا زوجٌ مخطئ ويسيء في تحمل المسؤولية ويسيء إلى زوجته ويُحمِّلها فوق طاقتها .

وعندما قال الله تعالى : ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾ [الصافات:24]

فإن من جملة ما سيسأل عنه كلُّ زوج ، السؤال عن زوجته وأهل بيته ، والحديث الذي نكرره في كلِّ خطبة من هذه السلسلة

« إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » [النسائي وابن حبان]

وحسبكم بالنبي صلى الله عليه وسلم عندما يقول : « **كفى بالمرء إثما أن يُضَيّع مَن يقوتُ** » [مسلم]

أول ما طلبته النساء من أزواجهن تحمل المسؤولية ، مسؤولية النفقة ومسؤولية التربية ومسؤولية التعليم....

ثاني ما طلبته الزوجات من أزواجهن ... ((الشعور بالأمن))

كتبت 85 % من الزوجات في الشريحة المدروسة إنهن يردن الشعور بالأمن مع أزواجهن.

فالمرأة السّوية تؤذيها كلمة الطلاق ، وتشعرها بأنها غيرُ أمنة في حياتها مع زوجها ، يرعبها يمين الطلاق ، ويهزُّ كيانها حديثُ الطلاق من زوجها ولو كان مازحاً .

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما حديثاً طويلاً ترويه السيدة عائشة في حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يسمى عند أهل العلم حديث أبي زرع .

تقول فيه السيدة عائشة :

اجتمع إحدى عشرة امرأة في الجاهلية فتعاقدن أن يتصادقن بينهن ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً.

ثم بدأت كل واحدةٍ منهن تصف زوجها كريماً كان أو بخيلاً ، شديداً كان أو ليناً ، محباً كان أو مبغضاً ، وكانت السيدة عائشة تروي الخبر بطوله ، والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع لها ، وكان أفضل أزواج هؤلاء النسوة رجلاً كنيته أبو زرع ، كان كريماً يُكرم زوجته ، لطيفاً يلاطف زوجته ، غير أنه عَلِق بامرأة أخرى فطلقّ أم زرعٍ وتزوّج الثانية ، ومع طلاقه لها كانت تمدحه وتثني عليه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته عائشة :

« **يا عائشة كنتُ لك كأبي زرعٍ لأم زرع إلا أن أبا زرعٍ طلّق وأنا لا أطلق** » كما عند الطبراني

فالزوجة يسرها الشعور بالأمن عند زوجها ، ويؤذيها عدم اطمئنانها على نفسها وعلى زوجها ، يؤذيها أن يصف الزوج أمامها جمال امرأة أخرى وبالمناسبة هذا محرَّم شرعاً يؤذيها ويسيء إليها أن يجلس زوجها وراء التلفاز ليرقب الممثلات والمطربات وعارضات الجسد ، وبالمناسبة هذا حرام شرعاً ، يضرها أن ينقل زوجها إعجابه بامرأة أخرى ، يهدد أمنها أن لا يكون زوجها لها وحدها.

يَسُرها من زوجها أن يطمئنها بين الحين والأخر بقوله : إنه لا يستغني عنها ، إنه يحبها ، إنها ما زالت تملأ عليه حياته وبيته ، إنه لا يرى في النساء أجمل منها ، إنه لن يتزوج عليها.

ومن باب الطُرْفةِ :

ذكر أن رجلاً وجيهاً نبيلاً كان جليساً للسلطان العثماني ، كانت له زوجة صالحةٌ تحبه ويحبها ، ولها به تعلق شديد ، أراد هذا الرجل الزواج بزوجة ثانية لتكون له زوجتان ، غيرَ أنه عَلِمَ أن زوجته الأولى لا توافق ولعلها تصاب بأذية إن بلغها الخبر ، وهو يحبها ويحترمها ولا يريد أن تقع في مكروه .

كان يقلّب فكره ونظره لإيصال فكرة زواجه الثاني إليها ، ولكن عبثاً ، إلى أن اهتدى إلى وسيلة ينقلُ بها إليها الخبر ، فبينما كان عائداً يوماً من الأيام إلى بيته من دار الخليفة ،

أظهر على وجهه أمارة الغضب و الإضراب والانفعال ، فاستقبلته بودٍ وترحاب ورأت ما يبدو على وجهه فأرادت الاطمئنان وتهدأة الحال ، وسألته ما الأمر ؟ فأجاب : لقد فاجأني السلطان اليوم بفرمان سيصدره بعد أيام.

سألته وما في هذا الفرمان ؟ أجاب : نما إلى الخليفة أن عدد النساء في السلطنة زاد عن عدد الرجال ، وأن نساءً عديدات بقين بدون أزواج ، فاستشار من حوله وأقنعوه أن يصدر فرماناً يقول فيه : يجب على كل رجلٍ متزوج أن يتزوج زوجة ثانية ، ومن لم يفعل فإن السلطان قرَّر إعدامه شنقاً حتى الموت ، وسيصدر الفرمان بعد غد ، ثم راح الرجل يتمتم ويحوقل : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فقالت له امرأته : وأنت ماذا تفعل ؟ فقال لها : ما رأيك أنتِ ؟

قالت على الفور : الأمر بيّن ... مُتْ شهيداً .. مُت شهيداً .. مُتْ شهيدا.....!!

يا أيها الأزواج :

اتقوا الله في زوجاتكم ، لا تؤذونهن بحديث الطلاق ، وأدخلوا عليهن السرور بالثناء عليهن والإحسان إليهن ، واعلموا أنكم ستُسألون عنهن .

ثاني ما طلبته الزوجات من أزواجهن : الشعور بالأمن

۞ ثالث ما طلبته الزوجات من أزواجهن ... ((الاحترام المتبادل))

كتبت 65 % منهن ، نريد منهم الاحترام ، فكما كتب الرجال أنهم يريدون من زوجاتهم أن يحترموهم ، كتبت النساء إنهن يردن من أزواجهن أن يحترموهن، فالإنسان – ذكر أو أنثى – مخلوقٌ مكرَّم ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾ الإسراء:70 يحبُّ من يحترمه ويبغض من يهينه .

الزوج الذي يستهزئُ بزوجته زوجٌ مخطئ ، الزوج الذي يسفه رأي وعقل زوجته ..زوجٌ مخطئ ، الزوج الذي يعيّر زوجته بأمها أو بأبيها ، بأختها أو بأخيها ..زوجٌ مخطئ ، الزوج الذي يشتم زوجته أو يهينُ زوجته أو يعتدي على زوجته بالضرب .. زوج مخطئ.

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فوعظ فيهن فقال :

« **يعْمِدُ أحدُكم فيَجْلِدُ امرأتَهُ جَلدَ العبدِ ، فلعلَّهُ يُضَاجِعُها من آخر يومه** » [متفق عليه]

وفي رواية أخرى في مصنف عبد الرزاق « **أما يستحيي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد ، يضربها أول النهار ثم يضاجعُها أخره ، أما يستحيي** »

ثالث ما طلبته النساء من أزواجهن الاحترام.

۞ **أخر ما طلبته الزوجات من أزواجهن ... ((توفير الطعام))**

أخر ما فكرت به الزوجات في هذه الدراسة فهو توفير الطعام ، والعجيب أن الطعام أكثر ما يؤمنه الرجال.

۞ **أول ما طلبته الزوجات ... تحمل المسؤولية .**

۞ **ثاني ما طلبته الزوجات ... الشعور بالأمن .**

۞ **ثالث ما طلبته الزوجات ... الاحترام .**

۞ **أخر ما تفكر به المرأة ... توفير الطعام .**

هذه نتيجة استبانة الزوجات وسبق في الخطبة الماضية نتيجة استبانة الأزواج .

۞ **يا زوجي الأثير :**

كلي شكر لك : أكرمتني وأحسنت إلي ، ورعيتني وحفظتني وأكثرت الخير عليّ ، تحمّلت معي المسؤولية وأشعرتني بالأمن والاحترام ، فلك مني كلُّ الحب وكلُّ الود وكلُّ البر ، وأسأل الله تعالى أن يرضى عليك وأن يرضيك عني .

﴿..**ربنا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً** ﴾ [الفرقان:74]

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.